

# لارجوع ولاتراجع

من الواضح ان الاستعماريين الانكليز والفرنسيين مصممون على العدوان على البلاد العربية واختلاق أية ذريعة لتبرير عدوانهم هذا. ومن الواضح ايضاً ان أزمة القتال لم تكن سوى مناسبة لانكشاف مقاصدهم ومخاوفهم من يقظة العرب الحديثة وتصميمهم على ضربها قبل اكتمال نموها، فالمعركة اذن واقعة لا محالة بيننا وبين الاستعمار، وزمن المعركة مفروض من قبل الاستعمار نفسه، أي في هذه الفترة الحاضرة التي يرى فيها الاستعمار انها وقت مؤات له لأن تهيئة العرب لم تكتمل بعد، ولأن الظرف الدولي يجعل من غير المحتمل ان تتوسع حربه مع العرب الى حرب عالمية. وهذا يعني ان تأميم مصر لشركة القناة لم يعجل في مجيء المعركة تعجلاً جوهرياً، بل على العكس عجل في فضح الخطة الاستعمارية أمام العرب وأمام شعوب العالم فضحاً أوقع المستعمرين في الاحراج والتخبط.

ولقد دأبت الدعاية الاستعمارية على محاولة تضليل الرأي العام العربي والعالمى وعرض الامور بشكل معكوس وإلقاء التبعة على تطرف جمال عبد الناصر، فأظهرته بمظهر المعتدي والطامع في السيطرة والتوسع. وبالرغم من فشل هذه الدعاية الواهية في التأثير على الشعوب الحرة، وعلى الكثرة الساحقة من افراد الشعب العربي، نرى من واجبنا ان نوضح هذه الناحية، للعدد القليل المخدوع من غير عملاء الاجنبي، وغير ذوي المصالح الضخمة الحليفة لمصالح الاستعمار ومنطقه. ان الاعتداء هو دوماً وأبداً من جانب الاستعمار، والعرب كانوا دوماً حتى الان مدافعين، وحسبنا ان ننظر الى هذه السنوات الاخيرة والى الحكم الرجعي الذي أقامه

نوري السعيد في العراق بدعم الاجانب، الى حلف بغداد ومحاولة جر الاقطار العربية اليه، لندرك ان ما يسمونه تطرفاً في سياسة عبدالناصر لم يكن إلا جواباً على ذلك الهجوم الاستعماري ودفاعاً عن حرية الاقطار العربية واستقلالها. وليس عبد الناصر في هذا الا معبراً عن إرادة الشعب العربي بأسره. وليست سياسته الاستقلالية الواضحة الجريئة إلا تعويضاً عن خسارة بعض المناطق والاقطار التي توصل فيها الاستعمار بمساعدة الرجعية العربية الى تمكين نفوذه ليهدد بذلك سلامة الاقطار المتحررة من هذا النفوذ. فلولا حدة الهجوم الاستعماري في العراق لما ظهر الدفاع الاستقلالي في مصر بتلك الحدة، ولولا تأمر نوري السعيد لما كان في سياسة عبد الناصر ما يسمونه باطلاً بالتطرف. وبإمكاننا ان نعدد الامثلة فنبين كيف ان تعنت الاستعمار ومكابرتة وبطشه الوحشي في بلد كالجزائر وكيف أن تأمر الاستعمار على الأمة العربية باقامة دولة اسرائيل وتسليحها وتشجيعها على العدوان، كل هذا فرض على العرب كيما يدافعوا عن بقائهم، ان يقفوا من الدول الغربية ذلك الموقف النضالي الحاسم. هذا فضلاً عن تدخل الاستعمار وشركائه لعرقلة نهضتنا الداخلية ووحدتنا القومية بدعم الطبقات والاسر الحاكمة الرجعية حتى يظل وطننا العربي خليطاً متنافراً عجيباً يحتفظ بالمجتمعات البدائية الى جانب مجتمع القرن العشرين، وتبدد في بعض اماراته الهزيلة ثروات كانت تكفي للنهوض بمستوى عشرات الملايين من افراد شعبنا.

نذكر كل هذا لنخلص الى القول: ان القضية العربية بكل مآسيها وتناقضاتها، وفي صراعها التاريخي مع الاستعمار والرجعية، هي التي تطرح نفسها من خلال ازمة القناة على بساط البحث العربي والعالمي، وفي الوقت المناسب.

فلئن كان الاستعمار مصمماً - دفاعاً عن مصالحه الجشعة الاثيمة - على ارجاع نهضة العرب عشرات السنين الى الوراء، فإن تصميمه ليس بكاف لكي يتحقق له ما يريد. لقد وصل انبعاثنا أو كاد يصل الى منتصف طريقه. وما تباطؤ هذا الانبعث وتعره إلا نتيجة لتباطؤ تفتح الوعي في قسم غير قليل من ابناء وطننا ولضيق قسم من امكانات شعبنا وأرضنا لم يستغل بعد أو لا يستغل في الطريق الصحيح، ولأن قضيتنا

كلها لم تطرح بعد طرحاً عميقاً شاملاً واضحاً، وبالشكل الجدي الحاسم. فللاستعمار ان يحلم ما شاءت له الاحلام بارجاع العرب الى الورا، اما نحن فمؤمنون بأن الوقت قد حان لاجتياز النصف الآخر من طريق انبعائنا، ولم يكن معقولاً ولا ممكناً أن تتخذ أزمة تأمين شركة للملاحة هذا الاتساع وهذه الخطورة العالمية لو لم يكن وراءها تاريخ أمة بأسرها في حالة التكوين والانضاج، ولو لم يكن ذلك مترابطاً ومتوافقاً مع حالة تكوين وإنضاج في تاريخ العالم كله، ولو لم يكن وراء ذلك قضية كبرى، تريد ان تعلن عن نفسها، هي في نفس الوقت قضية العرب وقضية الانسان.

لا رجوع الى الورا اذن، فهذه المعركة التي يفرضها علينا الاستعمار ظلماً وعدواناً كفيلاً بأن تفتح الوعي وتفجر ما بقي من قوى شعبنا في حالة الركود والكمون، وان تخرج العناصر السطحية والنفعية وتضطرها الى الاختيار، وتضطر الأمة كلها ان تقف الموقف الجدي اللائق بها، كما انها كفيلاً بتحريك الضمير العالمي واضطراره الى ان يختار.

واذا كنا مؤمنين بأن دخولنا المعركة لن يعرض بهضتنا لخطر الرجوع الى الورا، ما دامت امكاناتنا وامكانات الشعوب الحرة في نمو وصعود، وما دامت امكانات الاستعمار تسير كل ساعة الى الهبوط والزوال، فحري بنا ان نرفض كل تراجع عن دخول المعركة، اذ ان التراجع هو وحده الذي يحقق للاستعمار مآربه فبنا اذ نتخلى عن قضيتنا ونقتل امكانات المستقبل في اجيالنا. ومهما تكن النتائج المادية لهذه المعركة وخسائرها واضرارها فان مجرد دخولها يحمل في طياته بذور الحياة والحرية وامكانية النصر العاجل او الاجل. اما التراجع فيعني، عدا الخسارة المحققة لكل ما يطمع الاستعمار في انتزاعه منا، ضياعاً للروح ومعنى الحياة.

١٤ أيلول ١٩٥٦